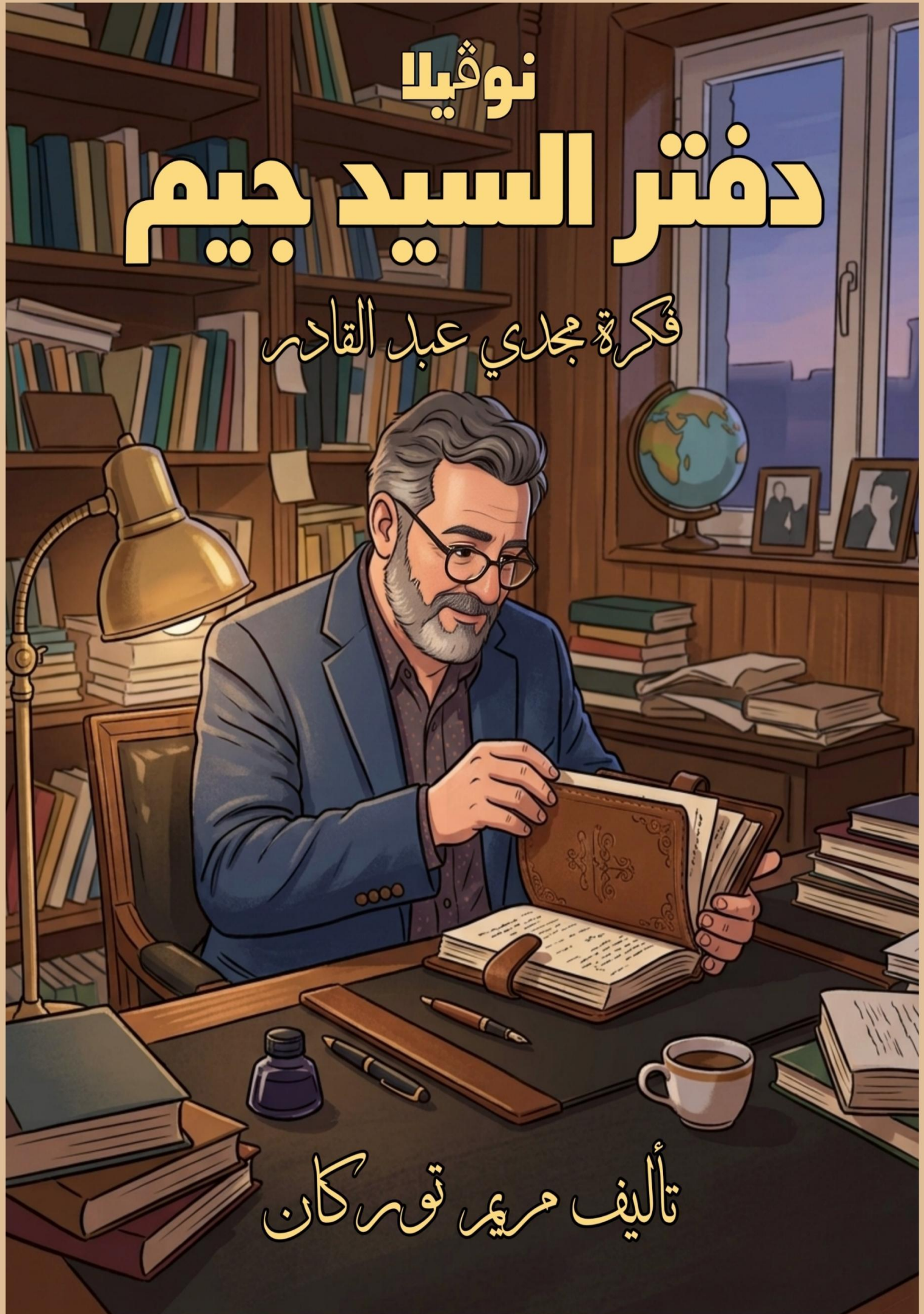


نوقيلا

دفتر السيد جيم

فكرة مجدي عبد القادر



تأليف مريم توركان

A detailed illustration of a man with grey hair and glasses, wearing a blue shirt, sitting at a desk in a library. He is holding an open book. The desk is cluttered with books, a pen, an ink bottle, and a cup of coffee. In the background, there are bookshelves filled with books, a globe, and a window showing a cityscape.

دفتر السید جیم

مجدي عبد القادر

مریم تورکان

حقوق الملكية الفكرية

كتاب: دفتر السيد جيم (الحقانية)

فكرة: مجدي عبد القادر

تأليف: مريم توركان

فريق العمل والإخراج الفني:

تمت مراجعة وإخراج هذا العمل بواسطة فريق MT Academy
:Freelancer

التدقيق اللغوي والنحوي: قسم اللغة العربية بـ MT Academy.

التصميم الجرافيكي والغلاف: وحدة التصميم بـ MT Academy.

التنسيق الداخلي Typist: MT Academy Support.

حقوق النشر:

لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه في نظام استرجاع المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة (إلكترونية، أو ميكانيكية، أو تصوير ضوئي، أو تسجيل، أو غير ذلك) دون إذن كتابي مسبق من الأكاديمية، باستثناء اقتباسات قصيرة تُستخدم في المراجعات والتقارير الصحفية بشرط ذكر اسم المصدر.

جميع الحقوق محفوظة للكاتب ولـ © 2026 MT Academy.

"أصل الحكاية تاريخ.. وفنّها تدقيق"

للتواصل مع فريق العمل أو طلب خدماتنا:

عبر التليجرام: MT_Academy_Support@

قناة الواتس اب الرسمية:

<https://whatsapp.com/channel/0029VbCG93p8F2p>

Emb0hOV0u

الإهداء

إلى الذين يظنون أن الحكايات تنتهي
بإغلاق الأبواب..

إلى كل من ترك خلفه أثرًا لم يُمحَ،
ودمعة لم تجف، وحقًا يُنتظر في صحف
السماء.

أهدي هذه السطور.. لعالمٍ يعرف كيف
يعيد لكافة الأشياء اترانها، حتى لو جاء
القصاص على هيئة طيف!

وإليك يا جلال.. يا من ظننت أن صمت
الأربعين سيمحو صخب الستينات؛ أهداك
عالمنا طيفًا لا يُنسى، لتدرك أن الحساب
لا يسقط بالتقادم!

زيزفونة

الإهداء الثاني

إلى مَنْ يُشاركني حياة الحروف،
ويتنفس معي الوزن والقافية..

إلى الشاعر المبدع/ مجدي عبد القادر
أهدي إليك هذه السطور؛ فكل بيتٍ بينها
ليس إلا صدى لصوتك، وكل شطرٍ لم
يُكتمل.. اكتمل بقصائدك.

مريم توركان

مقدمة لا بد منها

هل تساءلت يوماً: أين تذهب كل تلك
الوعود المقطوعة في لحظات الشغف؟
أين تستقر القلوب التي جُرحت وتُركت
على قارعة الطريق، لأن صاحبها قرر
فجأة أن "الحب لم يعد يناسبه"؟

كنا نظن أن الزمن كفيلاً بمسح كل
شيء، وأن الأربعينيات تأتي محملة
بالهدوء والسلام للجميع.. لكن يبدو أن
هناك عالمًا آخر -عصبي جدًا ومُنظّم
جدًا- لا يحب الفوضى، ولا يترك دينًا
للقلوب دون قصاص!

هذه ليست قصة رعب، ولا محاكمة
تاريخية.. هذه مجرد حكاية عن دنجوان
قديم ظن أن ماضيه مات وشُبع موتًا،

حتى طرقت بابه فتاة ذات شعر ناري
وجديلة عجيبة، لتخبره أن الحساب قد
بدأ للتو!

جهّز كوب قهوتك، واستعد لرفقة
زيفونة وجلال.. فالرحلة قصيرة، لكنها
ستغير نظرتك لـ "طيش الشباب" إلى
الأبد!

الفصل الأول

لم تكن مجرد نسمة هواء باردة، بل كانت اهتزازًا في نسيج الفضاء نفسه داخل الغرفة.

في تلك الليلة، كان "جلال" يجلس محاطًا بصمت الأربعين، يقلب صفحات دفتره المهترئ لعام 1975، مسترجعًا ضوضاء شبابه والقلوب الكثيرة التي تركها حطامًا وراءه. فجأة، انطفأت أضواء الغرفة، لكن المكان لم يظلم؛ بل غمره وميض فوسفوري غريب، أشبه بشفق قطبي يتراقص في مساحة لا تتعدى أربعة أمتار!

تصلب جلال في مقعده، وتجمد الدخان في جوف سيجارته وهو يرى الهواء

يتكشف، يذوب، ثم يتشكل ليصنع جسداً..
لم تكن هبوطاً من السقف ولا صعوداً
من الأرض، بل بدت وكأنها اخترقت
جداراً غير مرئي يفصل بين عالمين.

فتاة صارخة الجمال، ممشوقة القوام،
ساحرة العينين، دقيقة الشفتين،
بيضاوية الوجه.. بيضاء بشعر أحمر
ناري وعينين نعستان، ترتدي زياً غريباً
لم يعهد جلال رؤيته من قبل، بل لم يعهد
رؤية فتاة بمثل هذا البهاء، وهو دنجوان
الستينات!

نظرت إليه، فتبسم ببلاهة من هول ما لا
يستوعبه عقله.

حاول النهوض لكنها اقتربت منه
ومنعته، أخذت تتفحصه جيداً متفرسةً

ملاحه ذات الوسامة الطاغية، ثم
وضعت خصلات من شعرها على شعره،
وقامت بضفر جديلة مشتركة فيما
بينهما! تحدثت بمنطقٍ ولغة لم يفهمهما
جلال، وبعدها وضعت أصبعها على
جانبى رأسه.

لحظاتٍ وفتحت عينيها بعدما فكت
الجديلة وابتعدت عنه، نظرت إليه بتعمق
وقالت بصوتٍ يبدو حديث عهد بالكلام:

أنت جلال الدين محمود؟

حاول جلال النهوض مجددًا، لكن قدميه
لم تُسعفاه هذه المرة من تأثير الصدمة؛
فنظر إليها بتوجس وقال:

نعم، أنا هو.. من أنت؟ وماذا تريدان؟
وكيف عرفتِ عنواني؟!

تبسمت له وقالت بصوتٍ ناعم كالثرید:

أنا "زیزفونة"، ابنة "قمر الزمان"، من
عالمٍ لا يُشبه عالمكم.. جئت لأقتص
منك!

نهض جلال وقد تملكه الغضب والذعر:

إذن أنتِ جنیة؟! حسنًا.. سأحرقكِ بآیة
الكرسي!

اقتربت منه زیزفونة ونظرت في عينیه
بثبات، ثم أردفت:

لستُ جنیة، لذا لن تحرقني الآیات
الكریمات، بل أنا مخلوق من نوعٍ آخر
يعیش في عالمٍ موازٍ لعالمكم.

قال جلال بتلعثم:

عالم ماذا؟! وعمّ تقتصين؟ وبأي حق؟!
اغربي عن وجهي وإلا أطلقت عليكِ
النار!

هم بإخراج المسدس من درج مكتبه،
غير أنها أوقفته بإشارة من يدها،
ونظرت إليه بصرامة وقالت:

"عالم الحقانيّة" .. هو عالم موازٍ
لعالمكم، خلقتنا فيه لأجل رسالة هامة؛
وهي أن نقتص للمظلوم من ظالمه. نحن
في عالمنا لا نعيش برتبة وملل كما
تفعلون، نحن منظمون جدًا ولا نقبل بأن
يختل النظام.. ستجدنا مقسمين
لمجموعات، كل مجموعة رسالتها
القصاص لمجموعة من البشر

المظلومين، وقد تم اختياري لتولي
التحقيق معك بشأن ما هو منسوب إليك.

أشارت بيدها في الهواء، فظهر أمامها
ملف جلال مجسدًا ومفصلاً، ألمست
صفحاته وتابعت:

ها هو دفترك بيدي.. دفتر السيد "جيم"!
نظر إليها جلال بدهشة تكاد تصعقه
وقال:

لا أصدق ما أرى! يبدو أنني لا أزال
نائماً، وما هذا إلا منتصف الكابوس
اللعين الذي يطاردني منذ فترة..

أغلقت زيزفونة الدفتر وقالت بصوتٍ
واثق:

لا تجزع.. فالحكم عليك قد صدر،
وانتهى الأمر!

تملكه الغضب مرة أخرى وانددف
ليصفعها، لكن يده تراخت في الهواء
وسقطت ثقيلة من هول المفاجأة!

الفصل الثاني

تفاجأ جلال بشفافية جسد "زيزفونة"
حين حاول صفعها فتراخت يده في
الهواء، ارتد خطوة إلى الوراء وهو
ينظر إليها بدهشة ملؤها الذهول،
وتساءل:

كيف حدث هذا؟! ما هذا الذي أراه؟!

اقترب منها وجبينه يتصبب عرقاً، حاول
أن يلمس يدها مجدداً لكنه جفل حين
اخرقت يده فراغ جسدها! قال متلعثماً:

إذن أنتِ وهم! وهم خرج من عقلي
الباطن ليُعاقبني على طيش الشباب..

ضحكت زيزفونة برقّة ساحرة وقالت:

بل أنا قدرك يا جلال.. لا مجال للوهم في
كل ما هو كائنٌ بيني وبينك.

صرخ جلال في وجهها بقلة صبر:

وما الكائن بيني وبينك يا ابنة قمر
الزمان؟!

أجابته بصوتٍ واثقٍ وهادئ:

قلتُ لك.. جئتُ لأقتص منك لا أكثر!

تراجع جلال، ثم جلس وأسند ظهره إلى
مقعده المريح وقال بنبرة استسلام
ساخرة:

حسنًا، وليكن ما تقولين.. كيف عرفتِ
بأمري؟ ولماذا أنا بالذات؟ أولم يُخطئ
أحدٌ غيري؟!

اقتربت منه زيزفونة بوقار وقالت:

بلى، ولكنك فقتهم جميعًا في أيام طيشك؛
ففاق عدد أخطائك في سنةٍ واحدة ما

يرتكبه غيرك في ست سنوات كاملة!
أتذكر ما فعلته بقلوب العذارى اللائي
أمّك على نبضاتهن ومشاعرهم؟! لقد
مضيت وتركت خلفك ركامًا من القلوب
التي لا جناية لها سوى أنها أحبتك!

ثم أردفت بنبرة موضوعية:

لكنك لست المخطئ الوحيد، فهنّ
مخطئاتٌ أيضًا.. أخطأن حين خُدن
بمعسول الكلام، وأخطأن حين صدّقن
شابًا حديث التخرج في زمن الحرب
والسلام! صحيحٌ أنهنّ كنّ صغيرات،
لكنهن لم يكنّ قاصرات ليُصدّقن شابًا لا
يملك من واقعته سوى لسانٍ معسول..
وعليه، فقد حكمت محكمة الحقانية العليا
بإقامتي معك لعامٍ كامل!

عقد جلال حاجبيه وقال بسخرية مريرة:

أهلاً وسهلاً بالحقانية!

ردت زيزفونة بنبرة جادة وصارمة:

الأمر ليس بهذه السهولة..

تساءل جلال:

إذن.. ماذا هناك بعد؟!

قالت بنبرة حازمة:

سأكون قرينتك، الظل الذي لا يراه أحدٌ
غيرك.. فكن لطيفاً معي حتى تنتهي
العقوبة، فأعود إلى ديارى وعالمى،
وتعود لك حياتك الطبيعية.

سألها مستكراً:

وماذا تقصدين بـ "طبيعية"؟!

ابتسمت زيزفونة وقالت:

يعجبني ذكاؤك.. استنتج إن استطعت!

صمت جلال لبرهة، ثم سألها بوجل:

أتقصد أن العقوبة ستقلب حياتي رأسًا

على عقب؟!

ردت بتحدٍ واثق:

بل سيتم استبدال حياتك بالكامل طيلة

هذا العام!

حرق فيها جلال بذهولٍ شلّ أطرافه

وقال:

ماذااااااااااا؟!

الفصل الثالث

سقطت الصدمة على رأس جلال
كالصاعقة بعدما أوضحت له "زيزفونة"
طبيعة عقوبته الكونية، وتمنى في سرّه
لو أنه لم يعثر على ذلك الدفتر المهترئ
لعام 1975، بل لو أنه أحرقه منذ
عقود!

وفي تلك الأثناء، تنهّى إلى مسامعه
صوت حركة خفيفة عند الباب، ثم قرع
القفل وانفتح؛ ليطلّ وجه "عم إدريس"،
حارس البناية، الذي كان يملك نسخة
من المفتاح احتياطياً.

تجمد الدم في عروق جلال، وتملك
الرعب أوصاله حين خطى الحارس نحو
الداخل باتجاه زيزفونة تماماً.. كاد جلال

أن يصرخ خشية أن يفتضح أمره، غير
أن زيزفونة انحلت في الهواء كأنها لم
تكن، تاركة إياه مواجهًا للحارس
بمفرده!

ظننتك قد خرجت وتركت أنوار الشقة
مشتعلة يا سيدي، فأناك عمك إدريس
ليطفئها.

قالها الحارس وهو يتقدم بخطوات وئيدة
ليجلس بالقرب من جلال، الذي كان
مسح عرقه المتصعب بسرعة وقال
بنبرة مرتبكة:

قد خرجت بالفعل وعدت قبل ساعتين يا
عم إدريس.. لا تقلق، أنا بخير.

اطمأن إدريس وانصرف بعد كلمات
هادئة، وما إن أغلق الباب خلفه حتى

تتكشف الضوء الفوسفوري ثانية، ولدت
زيزفونة من الفراغ!

اقتربت منه وابتسامة مأكرة تداعب
شفتيها الدقيقتين وقالت:

أجَاهُزُ أَنْتِ يَا قَرِينِي لِبَدْءِ تَطْبِيقِ
العقوبة؟

رد جلال بتذمر وهو يستعيد انفاسه:
لا تقولي "قريني" أيتها الجنية ذات
الشعر الناري!

مالت عليه زيزفونة بدلالٍ ساحر وقالت:
أُعتَبِرُ هَذَا موافقة؟

وقبل أن يجد جلال منفذًا للرد، أشارت
بأصبعها نحو فمه؛ فخرج لسانه رَغْمًا
عنه! وضعت سبابتها على طرف

لسانها، ثم لامست بها لسان جلال في
حركة خاطفة.. وما إن ابتلع ريقه حتى
شعر بحرارة تسري في حلقه، ونطق
بنبرة حادة وعامية لم يعهدها من نفسه:

خلصيني بقى علشان جبت آخري منك!
ضحكت زيزفونة بصوتٍ كالموسيقى
حتى بدا بياض أسنانها الناصع وقالت:

حاضر يا عم جلال.. جاهز للتبديل؟

قال جلال بتذمرٍ أشد وخوفٍ حقيقي:

خلصيني بقولك قبل ما مراتي ترجع من
عند أهلها هي والولاد ونبقى في
مصيبة!

اقتربت منه زيزفونة حتى كادت تلتصق
به، وبدأت تتمتم بكلماتٍ همسية غريبة

لا ينتمي حروفها للغة البشر.. وفجأة،
انبثق من الفراغ بينهما طيفٌ مشع على
هيئة "الدفتر المهترئ"!

انفتحت صفحات الدفتر وتطايرت كأنها
أجنحة طائر أسطوري، ثم أشارت
زيفونة بيدها نحو الصفحة الأولى،
فخرج من قلب الورق بابٌ خشبيٌّ عتيق،
ذو مقبض نحاسي، انفرج على
مصراعيه ليكشف عن ظلامٍ ملون بالنجم
والسدم!

أمسكت زيفونة بيد جلال بقوة، وقبل
أن يستوعب أين هو، غاصا معًا في
عمق الصفحات!

الفصل الرابع

فتحاً أعينهما فوجدا الزمان قد استدار
قهقري؛ إذ كانت القاهرة في شتاء عام
1961 تعيش على وقع أناشيد الثورة
وصوت المذيع "أحمد سعيد" وهو يزف
عبر أثير "صوت العرب" القرارات
الاشتراكية المجيدة، وتأميم الشركات،
وميلاد "المجتمع الجديد" الذي تذب
فيه الفوارق بين الطبقات.

لكن بالنسبة لـ "جلال"، الشاب الذي
تخرج من كلية الآداب قسم التاريخ، لم
يكن هذا المجتمع الجديد سوى طابور
طويل لا ينتهي، وببيروقراطية خانقة
يضطر للتعامل معها يوميًا وهو يبحث

عن مكان لقدمه في عاصمة مزدحمة
بالآمال والأوهام معًا.

كان جلال يحمل شهادة جامعية
يُفترض بحسب وعود الدولة
الوردية أن تضمن له مكتبًا محترمًا
وراتبًا ثابتًا يُعينه على بدء حياته. لكن
الواقع كان مغايرًا؛ فقانون التزام الدولة
بتعيين الخريجين خلق تكسًا رهيبًا في
المكاتب الحكومية، وتحولت طلبات
التوظيف إلى ملفات صفراء مكدسة في
ردهات وزارة القوى العاملة، تنتظر
دورًا قد يستغرق سنوات!

كان جلال يستيقظ كل صباح على صوت
بائع الفول وصياح الديكة في حيه
الشعبي، يرتدي بدلته الوحيدة المحاكاة

بعناية والمنفرجة عند الكوعين، ويقضي
نهاره متنقلاً بين المكاتب الحكومية
والشركات المؤممة حديثاً.

كانت شوارع القاهرة تعرض لوحة من
التناقض الصارخ؛ فبينما كانت لافتات
المتاجر الكبرى التي حُجبت أسماء
أصحابها القدامى وحلت محلها أسماء
"قطاع عام" رنانة تملأ الأفق، كانت
الطوابير الطويلة أمام الجمعيات
الاستهلاكية للحصول على السكر والأرز
المدعم تروي قصة أخرى عن شح
الموارد وصعوبة العيش.

كان المصروف اليومي الذي يمنحه له
والده الموظف المتقاعد بالكاد يكفي ثمن
تذكرة الترام، وفنجان قهوة سادة في

مقهى متواضع بوسط البلد، وسيجارة
واحدة "كليوباترا" يتقاسمها مع رفاقه
الخريجين الذين يشاركونه المصير
المعلق ذاته. كانت قلة الحيلة تنهش
كرامته، وشعوره بالعجز أمام أسرته
التي علقت عليه آمالاً عريضة يثقل
كاهله ويزيد من إحباطه.

أمام هذا الإغلاق التام في وجه طموحاته
المهنية، وجد جلال في وسامته
الطبيعية، ولسانه المعسول، وقدرته
على صياغة العبارات الرومانسية
المستوحاة من روايات إحسان عبد
القدوس وأفلام عبد الحليم حافظ، سلاحاً
سرياً للهروب من واقعه البائس.. لم
يكن يملك المال ليتزوج، ولم يكن يملك

الوظيفة ليتقدم لخطبة فتاة بشكل
رسمي، فصار يتسلى بقلوب العذارى
كآلية دفاعية تمنحه شعورًا زائفًا بالقوة
والسيطرة!

وقفت زيزفونة بصحبة جلال في فيراندة
شقة قديمة بأحد أحياء القاهرة الهادئة،
نظرت إليه بتحدٍ وقالت:

هيا يا جلال لنبدأ أولى صفحات
عقوبتك.. هيا لتكن قلبًا ينبض بالحياة
بين جنبي "نرمين"!

وقبل أن ينبس جلال بكلمة اعتراض،
انحل جسده في الهواء، وتحول في لمح
البصر إلى مضغة حية تشبثت بين أضلع
"نرمين"!

عاش جلال بقلبها طيلة الفترة التي
تظاهر فيها بحبه لها؛ فكان يرتج كيانه
مع كل كلمة رومانسية تلفظ بها
مسامعها، ويكاد يفقد الحياة مع كل وعد
كاذب وعدها إياه! عاش معها يذوق
صدي معسول كلامه وتأثيره العذب على
قلبها الرقيق..

دلفت نرمن غرفتها، وأغلقت الباب
على نفسها، ثم أخرجت من حقيبتها
رسالة معطرة مكتوبة بخط أنيق
ومُنسق، وقرأتها وهي تتنفس الشغف:

"إلى غادتي الحسناء، مودموزيل اليوم
ومدام الغد.. لقلبك الحاني من قلبي
السلام.

وددتُ أنْ أهُمَسَ لِقَلْبِكَ بِنَبْضِ قَلْبِي
الطاهر؛ حبيبتِي أَنْتِ وَلَا حَبِيبَةَ لِي
غَيْرِكَ..

يا مَنْ مَلَكْتَ الْقَلْبَ فَالْقَلْبَ لَنْ يَنْسَاكَ..
كَيْفَ وَقَدْ ذَاقَ الْهَنَا بِهَوَاكَ؟

يا نَرْمِينِ الْقَلْبَ.. جَلالَ يَهْوَكَ، وَيَهْمِ
عَشَقًا فِي هَوَاكَ."

بَكَتْ نَرْمِينُ حَتَّى ابْتَلَتْ وَسَادَتَهَا مَتَأَثَرَةً
بِكَلِمَاتِ جَلالَ، وَكَانَ جَلالَ—الْقَلْبَ الْقَابِعَ
فِي أَضْلَعِهَا—يَشْعُرُ بِقَطْرَاتِ الدَّمْعِ كَأَنَّهَا
جَمْرٌ يَتَساقَطُ عَلَى نَسِيجِهِ الْحَسَّاسِ!

مَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَتَعَرَفَ جَلالَ عَلَى أُخْرَى
فَتَنَاسَى نَرْمِينُ.. نَرْمِينُ تِلْكَ الَّتِي أَحْبَبْتَهُ
بِقَلْبِهَا وَعَقْلِهَا، وَأَرَادَتْهُ زَوْجًا لَهَا لَكِنَّهُ

أَبَى.

تركها بعدما نال من صفاء روحها،
وترك قلبها الصغير على ألم الخذلان.

حاولت نرمين كثيرًا أن تعود الأمور
بينهما كما كانت في السابق؛ رسائل
معطرة وخروجيات خلصة عند سور
حديقة الأزبكية، لكنه لم يكن لديه وقتٌ
لها بعدما دخلت حياته "داليا"، أو قل
بعدها اقتحم هو حياتها!

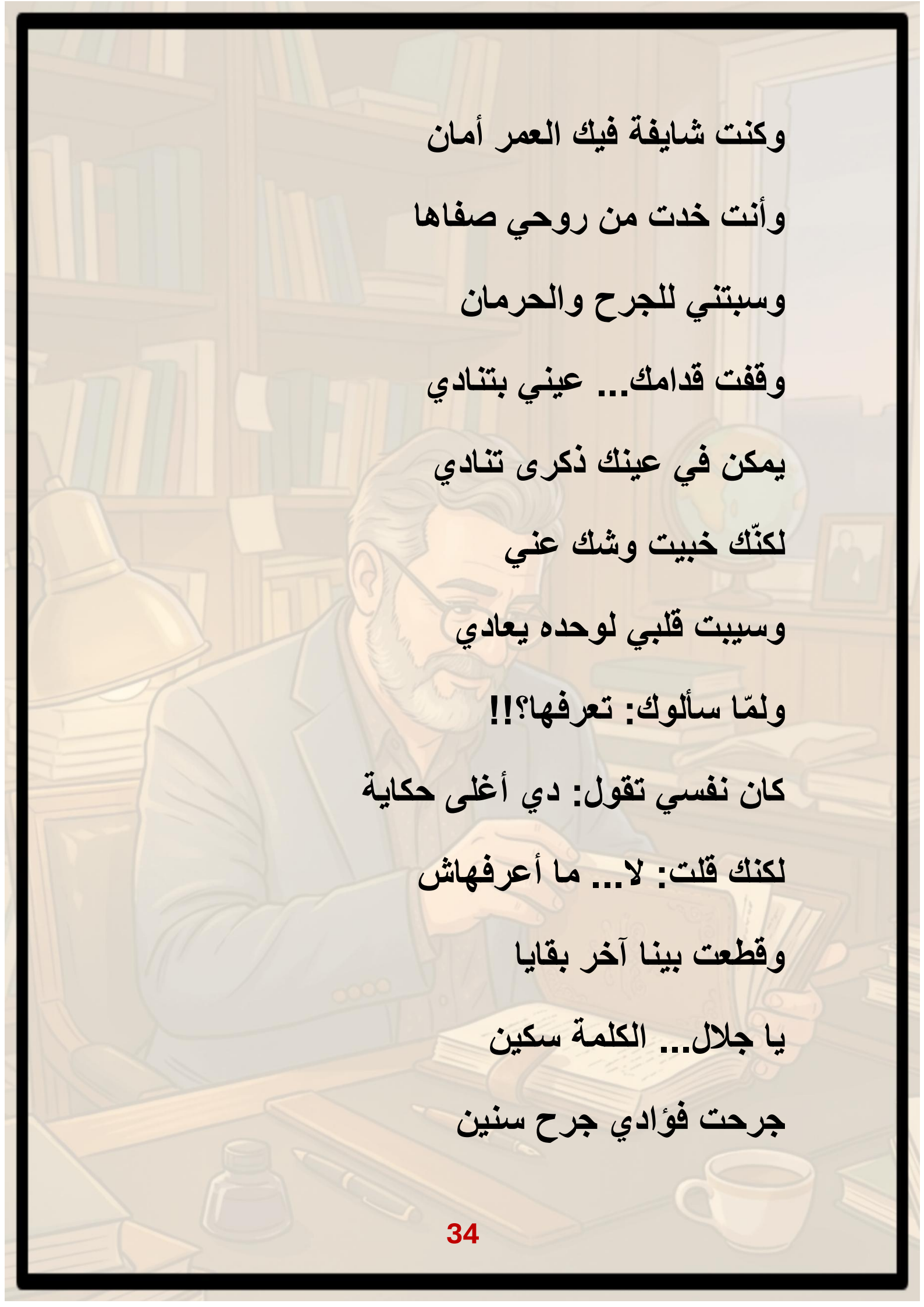
عادت نرمين من مدرسة المعلمات
وقلبها ينزف المأ؛ إذ رأت جلال يتنزّه
بصحبة فتاة أخرى، وحين نظرت في
عينيه مستغيثة بذكراهما، أشاح بوجهه
بعيدًا عنها وكأنه لا يعرفها! وعندما
سأله الفتاة التي معه إن كان يعرف
نرمين، أجاب ببرود: "لا.. لا أعرفها!".

تألم قلبها، وذاقت لأول مرة في عمرها
العشرين مرارة الخذلان وكسرة النفس.

وفي تلك اللحظة بالذات، شعر جلال—
وهو قلبها النابض—بانعصار أليم وشقّ
حارق كاد يؤدي بها وبنفسه قتيلاً!

استلقت نرمين على سريرها، ودمعها
يقطر كالهتان دون توقف، ثم قامت
لدفترها الخاص وأسرت إليه بوجعها
المكتوم..

يا جلال... يا أول أمان
يا حلم ساكن جوه الوجدان
إزاي لقيتني في يوم غريبة
بعد ما كنت لك كل المكان...
أنا كنت لك قلب وحنان



وكنت شايقة فيك العمر أمان
وأنت خدت من روعي صفاها
وسببتي للجرح والحرمان
وقفت قدامك... عيني بتنادي
يمكن في عينك ذكرى تنادي
لكنك خبيت وشك عني
وسببت قلبي لوحده يعادي
ولمّا سألوك: تعرفها؟!!!
كان نفسي تقول: دي أغلى حكاية
لكنك قلت: لا... ما أعرفهاش
وقطعت بينا آخر بقايا
يا جلال... الكلمة سكين
جرحت فؤادي جرح سنين

إزاي ينكرني قلب كنت فاكرة

إنه في يوم هيكون أمين؟

أنا مش بلومك إنك حبيت

ولا بطلب منك ترجع تاني

أنا بلومك إنك في لحظة

خلتني غريبة في مكاني

كان يكفيني منك وداع

وكلمة حلوة من غير أوجاع

مش تتكرني وسط الناس

وتسيب قلبي للضياع...

دلوقتي دفتري حزن دموعي

والليل شاهد على وجوعي

وكل ما أكتب اسمك فيه

تجري الدموع فوق ضلوعي

يا جلال... لو الحب ذنب

أنا كنت مذنبه من البداية

بس أصعب ذنب إن الإنسان

ينكر يوم أجمل حكاية...

لم يكن جلال شريرًا بالمعنى المطلق، بل
كان شابًا مشوهًا بنوع من الأنانية التي
ولّدها الحرمان.

كان يرى في نظرات الإعجاب والشفغف
في عيون أولئك العذارى تعويضًا مؤقتًا
عن نظرات الانكسار التي يراها في
مرآته كلما تذكر أنه عاطل عن العمل.

كان يمارس لعبة الحب كمسكن
موضعي؛ يذوب في لحظة الغرام،

ويسمع معهن أغنية أم كلثوم الجديدة
"هو صحيح الهوى غلاب"، لكنه فور
أن يعود إلى غرفته المظلمة، يخلع قناع
العشيق الولهان ليعود إلى حقيقة
العارية: شاب بلا مستقبل، يعيش على
هامش مجتمع يتغير بسرعة الصاروخ،
بينما هو واقف في مكانه لا يتحرك.

انتهى به المطاف ذات مساء، وهو
يجلس على كورنيش النيل، ينظر إلى
أضواء فندق "هيلتون" الباذخة
المنعكسة على صفحة الماء، وفي جيبه
رسالة وردية جديدة من داليا، وخطاب
استدعاء من وزارة القوى العاملة يبلغه
بضرورة مراجعتهم بعد ستة أشهر
أخرى..

تتهدد جلال عميقًا، وأشعل نصف
السيجارة المتبقي معه، مستعدًا للغد
بلعبة جديدة، وضحية جديدة، وانتظار لا
ينتهي!



الفصل الخامس

بكت نرمين وانتحبت حتى أتاها من
يستحقها ويستحق صدق قلبها النقي..
تزوجت من المهندس "محمود" ابن
الجيران بعدما خذلها جلال بعامين
كاملين، ليجبر الله خاطرها وقلبها
الصغير..

بينما جلال.. لا زال يعيش حكايته معها
مرة أخرى، ولكن ببطلّة جديدة؛ "داليا"!

داليا، ابنة صاحب معرض السيارات
الشهير، فتاة مدللة، كل ما تطلبه يحضر
أمامها قبل أن ترد إليها شفتان بطلّبه.

وحيدة والدها، ماتت والدتها في مرحلة
مراهقتها الحرجة، لذا تراها فيّاضة
بالحنان، متدفقة بالعاطفة كينبوع لا

يغيب.. وهذا بالضبط ما كان يبحث عنه
جلال! الحنان الذي طالما افتقده في بيته
العامر بوجود والدته.

تلك المرأة الحديدية، الجادة طوال
الوقت، التي لم تدفعها الأمومة يوماً
لاحتضان ابنها الوحيد، الذي طالما حلم
بهذا الحزن منذ طفولته كسائر أقرانه
في الحي.. وحينما خذله واقع والدته
الجلمود بقسوة قلبها وحنانها المتحجر،
لجأ لتعويض ما افتقده عن طريق
اللجوء لقلوب العذارى، يمتص دفنهن
ليطرد برد روحه القديم! لكم تمنى في
سرّه أن ينصفه واقعه الأليم ليستقر مع
إحداهنّ بيت صغير ويكون أسرته

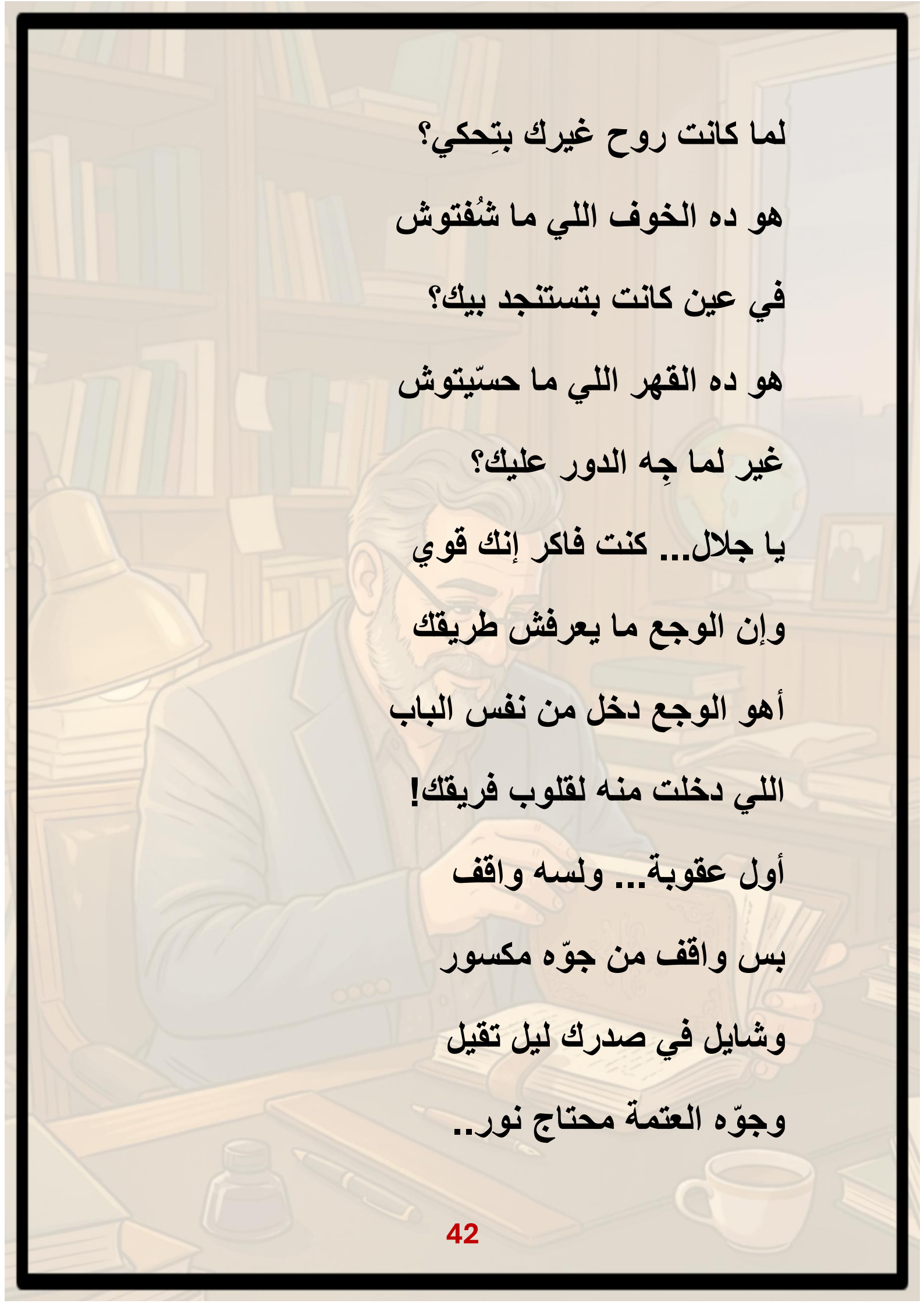
الخاصة، لكن عقده النفسية كانت أسبق
من نيّاته!

خرج جلال من قلب نرمين محمّلاً
بالخيبة، ومُثَقَّلاً بأوجاعٍ لم يعهدها من
قبل.. خرج وقد شابت بضع شعيرات من
لحيته الخفيفة الفاحمة من هول ما ذاقه
بداخل أضلعها! خرج متأوّهًا متألِّمًا
ومتحسرًا يبكي حسرةً بعدما دار الكأس،
وذاق المرارة بذات المذاق الذي ذاقته
نرمين؛ تلك الفتاة الرقيقة الناعمة التي
صدقته دون علمها بأنها كانت مجرد رقم
في مفكرته الصغيرة!

يا جلال... إيه اللي جرّالك؟

إيه اللي خلّى قلبك يبكي؟

هو ده الوجد اللي كنت بتوزّعه



لما كانت روح غيرك بتحكي؟
هو ده الخوف اللي ما شفتوش
في عين كانت بتستجد بيك؟
هو ده القهر اللي ما حسيتوش
غير لما جه الدور عليك؟
يا جلال... كنت فاكّر إنك قوي
وإن الوجة ما يعرفش طريقك
أهو الوجة دخل من نفس الباب
اللي دخلت منه لقلوب فريقك!
أول عقوبة... ولسه واقف
بس واقف من جوّه مكسور
وشايل في صدرك ليل تقيل
وجوّه العتمة محتاج نور..

بقيت تبكي من غير صوت
وتخاف من غير ما حد يشوف
وتبصّ في المراية تلاقي
وشكّ غريب... وعينيك خوف!
يا جلال... ما تبكيش
ده الدمع مش هيغسل ذنب
ولا هيعيد قلب اتكسر
ولا هيمحي من العمر ندب..
لكن... لا! أقولك ابكي
يمكن دمعك تفهّمك اللي ما فهمتوش
إن القهر لما بيرجع لصاحبه
بيوجعه أضعاف اللي عمله وما
حسّوش!

يا جلال... دي أول عقوبة

واللي جاي يمكن يكون أدهى

لو ده وجع البداية في قلبك..

أمال آخر الحكاية إيه...؟!!

وعلى الفور، وقبل أن يسترد أنفاسه،

قلبت زيزفونة الصفحة الثانية من "دفتر

السيد جيم".. لتكون من نصيب داليا!

عادت زيزفونة بحركتها الساحرة،

وانحلّ جسد جلال ليجد نفسه هذه المرة

مغروسًا في أضلع "داليا"، ينبض

بنبضاتها وهي تجلس أمامه في سيارة

والدها الفارهة، ينبعث منها أريج العطر

الفرنسي ورائحة الدفء الأنثوي الذي

حرمته إياه أمّه.

كان جلال—وهو القلب النابض في
صدرها—يشعر بفيضان الحنان الذي
تكنّه له.

سمع صوت لسان "داليا" الناعم
والدافئ وهي تخاطب جلال (الماضي)
الواقف خارج نافذة السيارة:

جلال.. لم تبدو شاردًا اليوم؟ أتعلم؟ كلما
نظرت في عينيك أشعر بأنك طفلٌ صغير
يبحث عن أمانٍ مفقود.. أحتاج إلى
شيء؟ أي شيء يا جلال؟ قل لي فقط
وستجده بين يديك!

شعر جلال المأسور داخل صدرها
برعشة حنانٍ صادق تسري في
شرائنها تجاهه.. حنانٌ كان يتمناه طيلة

عمره! وسمع صوته الماضي يرد عليها
ببرودٍ مصطنعٍ وادعاءٍ أجوف:

لا يا داليا.. أنتِ فقط تبالغين.

أنا رجل لا يحتاج شيئاً من أحد.. فقط
أردتُ أن أطمئن عليكِ قبل أن أذهب
لمواعيدي.

ارتجف قلب داليا بداخلها، وشعر جلال
بكسرة خفيفة في نبضها، فقالت بنبرة
خائبة لكنها متدفقة بالحب:

لكنني لا أريدك أن تذهب وتتركني هكذا..
أنا أحبك يا جلال، وأريد أن أكون السكن
الذي ترتاح فيه من عناء الدنيا.. لم
تبتعد عني كلما اقتربتُ منك؟

كان جلال البالغ في أضلعها يصرخ في
الداخل بكاءً: "بل اقتربي! حنانك هو كل

ما أردته، لكن غروري وعقدي حرمتني
وحرمتك!".

ومع مرور الأيام، تكرر الشريط اللعين؛
انسحاب جلال، تخلفه عن المواعيد،
وهروبه من حنان "داليا" الفائض لأن
عقله الباطن لم يعتقد أن يجب دون
مقابل! ووصل المشهد إلى لحظة
الخدلان القاسية؛ عندما وقفت "داليا"
تصارع دمعها أمام مرآتها، تمسك
بهديتها التي أعدتها له ولم يأتي
ليأخذها، وشعر جلال بين أضلعها
بانعصار قلبها وحسرتها وهي تهمس:

لم فعل هذا؟ لم أخذ حناني وتركني
خاوية كالصحراء؟! هل كانت عاطفتي
رخيصة إلى هذا الحد؟!

انتهى الفصل الثاني من العقوبة،
وانقشعت الهالة الفوسفورية، ليعود
جلال إلى جسده في ظلام غرفته..

سقط جلال على الأرض جثواً على
ركبتيه، يلهث بشدة ويمسك ب صدره كأنه
يعاني من سكتة قلبية. انهمرت دموعه
كالمطر، دموع رجل يرى خرائب أفعاله
مجسدة أمامه.

قام بخطوات كأنها المسير على الجمر،
واختلّى بنفسه أمام مرآة غرفته
المظلمة.. رفع رأسه ببطء، ونظر إلى
انعكاسه.

لم يجد "دنجان الستينات" ذو الكبرياء
والوسامة الطاغية.. بل وجد طفلاً يتيمًا
جريحًا، امتزجت وسامته بشيب خفيف

وشحوبٍ مرعب، وعينين تسكنهما
الخبية والذعر!

ضرب جلال بيده على سطح المرآة وهو
يصرخ بصوت خافت مكسور:

لَمْ فعلت بهن هذا؟!.. كنت أبحث عن
الحنان.. فلماذا عندما وجدته في
قلوبهن، سحقته بأقدامي ورحلت؟! هل
قسوة أمي جعلت مني مسخًا ينشر
القسوة حيثما حلّ؟!!

انهار جلال على الكرسي المجاور،
وجلس يغطي وجهه بكفيه المرتجفتين،
والصراع الداخلي ينهش أحشاءه.. كان
يستشعر في كل خفقة من صدره صدى
دمعات "نرمين" العفيفة، وحسرة
"داليا" المدللة. استوعب في هذه

اللحظة بالذات أن خطيئته لم تكن مجرد
"طيش شباب"، بل كانت جريمة قتل
معنوي لقلوبٍ لم تذنّب إلا أنها فتحت له
أبوابها.

همس بصوتٍ يبكي بالندم الحقيقي:

يا الله.. إن كان هذا وجع عقوبتي الأولى
والثانية.. فكيف سأتحمل بقية
الصفحات؟ كيف سأواجه باقي الأسماء
المكدسة في هذا الدفتر الملعون؟!

من عتمة الزاوية، بزغ ضوء زيزفونة
الهادئ، ووقفت ترقبه بعينين نافذتين
تجمعان بين الصرامة والشفقة
الإنسانية، وقالت بنبرة ساحرة:

القصاص يا جلال ليس لتعذيبك.. بل
لتعود إنساناً كما خلقك الله! والصفحة
القادمة أوشكت أن تنقلب!



الفصل السادس

نظر إليها جلال مطوَّلاً، والوجوم يثقل
ملامحه الشاحبة، ثم قال بنبرة تخالطها
الحسرة والدفاع الأخير عن النفس:

لم أَكُنْ أعلم بمدى وجع قلوبهن يا
زيزفونة.. والله ما كنت أعلم! فقط كنت
أتسلى لأعوض ما افتقدته من حنان! لم
أفعل شيئاً محرماً في ظني؛ كل ما فعلته
أنني كنت أتحدث إليهن، وإن تطور الأمر
أخرج معهن للتنزه في أزقة القاهرة
وشوارعها.. لكنني أبداً لم أَكُنْ خائناً
للمقدسات ولا كذوباً في أصل طينتي!

صمت لبرهة يسترجع أنفاسه المتهدجة،
ثم أردف والدمع يتحجر في عينيه:

كنت شابًا يُحِبُّ الله ويخشى غضبه.. لكنّ
واقعي وظروفي اجتمعا على سلبي الأمل
مبكرًا! مات أبي بعدما تزوج على أمي
بأخرى وأنجب منها أربعًا من البنات..
فوجدتُ نفسي فجأة مجبرًا على حمل
مسؤولية بيت كامل وأنا لا أزال شابًا
غضًا! كبرتُ فوق عمري أعوامًا،
وصرتُ الأب لهن، والسند الذي لا
يخون، والكتف التي لا تميل وإن مالت
الجبال!.. وفي المقابل، لم أجد في بيتي
سوى جفاء وقسوة حولاني إلى "سلاّب
حنان".. كلما رأيت فتاة أعجبتني، وقعت
في حبها حتى النخاع، وكأني أقتص
لروحي الكسيرة من فيض حنانها
المتدفق!

ساد الصمت الغرفة.. وفي تلك اللحظة،
رَقَّ قلب زيزفونة لما سمعت، وبكت
الفتاة القادمة من عالم الحقانية حتى
هطل دمعها الأبيض اللؤلؤي على
أرضية الغرفة، فأضاء العتمة ببريقٍ
ساحر!

رفعت نظرتها نحو جلال، وقالت بصوتٍ
يفيض بالحنان والصرامة في آنٍ معاً:

ما فعلته هو الحرام بعينه يا جلال، وإن
تزيّا بزي الأعذار! يكفي أنك كنت تعلم
ما تتتوييه لكل فتاة تثق بك، وتكمل
مخططك للآخر لتشبع ظمأ روحك على
حساب الآمهن! لكن اليوم ليس عليك
وحدك.. بل عليهن أيضاً؛ مَنْ صدقن
معسول الكلام فقمن على الفور بفتح

قلوبهن لمن لا تحل له قلوبهن.. والآن،
دعك من باقي الصفحات؛ يكفيك ما
لاقيت من ألمٍ ووجع جعلاك تستشعر
حقيقة ما أشعرت به غيرك يوماً ما.

تعمق جلال في النظر إلى عينيها، وشعر
بشيءٍ يذوب في أسرار صدره، ثم قال
بيقينٍ خالي من المداراة:

بل أنا جاهزٌ تماماً الآن لأنال كل العقوبة
التي أستحقها.. شريطة أن تطهرني هذه
العقوبة من الداخل، وتجعل قلوب أولئك
العذارى تسامحني في عياء السماء
على ما فعلت بهن.

ابتسمت زيزفونة ابتسامة دافئة، ولأول
مرة كشفت عن حجاب النور الذي كان
يُغطي حقيقتها؛ فترأى لجلال جسدها

الغضّ، وحُسْنها الظاهر، وملاحتها التي
لم يعهد مثلها بشرٍّ من قبل!

بدت زيزفونة في تلك اللحظة وكأنها
قصيدة شعرية تجسدت في صورة أنثى،
لوحة نادرة صاغها الخالق بزخرف فريد
يخطف الأبصار ويأسر القلوب من
النظرة الأولى.

كان وجهها بيضاوياً متناسقاً بدقة
متناهية، يفيض بنعومة أسرة ورقية
بالغة، وتبدو بشرتها الصافية كمرمر
مصقول يعكس الضياء بنقاء ساحر.

وعلو هذا الوجه البديع حاجبان خطهما
الرحمن بروعة ربانية لا صنعة فيها،
مرسومان بدقة وعناية فائقة، يمتدان

في انحناءة مثالية تحرس عينيها كأنهما
هلالان في جوف الليل.

أما عيناها، فكانتا بحرًا من الغموض
والجاذبية؛ عيونًا ناعسة، تحمل في
نظرها انكسارًا دافئًا وفيضًا من الدلال
الشجي.. لم تكن نظرتها الكسيرة تلك
ضعفًا، بل كانت سحرًا هادئًا يبعث في
قلب من يطالعها رغبة جارفة في
حمايتها، وتكفي إغماضة واحدة من
جفونها الثقيلة لتبث في الأثير رقة تذوب
لها الصخور!

ويكتمل هذا البهاء بشعرها الناري
المسترسل، الذي كان ينساب على
كتفها كشلال من لهب مصفى، يتموج

في خصلات متدفقة تجمع بين حُمره
النحاس وتوهج الشمس عند الغروب.

كان شعرها الطويل يتماوج مع خطى
جسدها الممشوق، فتبرز قامتها الملتفة
وخصرها الضامر الذي يزيدها شموخاً
ورشاقة، لتغدو في مشيتها أشبه بغزالة
شاردة تجمع بين كبرياء الحُسن وعذوبة
الحياء..

وقف جلال مذهولاً أمام هذا البهاء،
وشعر لأول مرة أن كل وسامته وكل
تاريخه كـ "دنجان" يتضاءلان تمامًا
أمام هذا الطهر والجمال الكوني، وأن
العقوبة لم تكن مجرد قصاص، بل كانت
بوابته الوحيدة ليعرف معنى الروح
الحقيقية!

الفصل السابع

شعر جلال بالدفع يسري في عروقه
كالماء الدافئ، فاقترب من زيزفونة
وحاول لمسها، غير أنها منعه هذه
المرة برفق قائلة:

ليس هذه المرة يا جلال! فقد تحول
كياني مؤقتًا من الهيكل الحقائي الكوني
إلى الهيكل البشري.. لذا لا تقترب.

اندهش جلال من هول المفاجأة وتساءل
بفضول:

هل هذا يعني أنك لن تعود لي عالم
الحقانية مرة أخرى؟

ضحكت زيزفونة برقة وقالت:

بلى، سأعود حين ينقضي العام.. ولكي
يكتمل وجودي معك في عالمك البشري،
لا بد من إجراءات نتخذها.

استفسر جلال:

وما هي هذه الإجراءات؟

إجراءات خاصة بعالم الحقانية.

مثل ماذا؟

ردت زيزفونة بلمسة دلال:

مثل عقد قراننا مثلاً!

قفز جلال بظهره وقال بدهشة:

ماذا؟! أي عقد وأي قران هذا الذي

تحدثين عنه؟! ثم إنني رجل متزوج ولا

حاجة لي بتكرار التجربة!

ضحكت زيزفونة ضحكة صافية:

عن أي زواج أرضي تتحدث يا جلال؟!
عقد القران الأثري هو الذي يتيح لي
التواجد معك طيلة مدة القصاص فقط..
وأنا أيضًا لست راغبة في الزواج
بالمفهوم البشري!

ابتسم جلال براحة:
حسنًا، قد فهمت.. وأين هو العقد لأوقع
عليه؟

أشارت زيزفونة بدلال:
هناك.

نظر جلال خلفه ثم قال بحيرة:

أين هو؟ لا أرى شيئًا!

ردت بضحك رقيق:

هناك.. في عالم الحقانية!

أتقصدين أن أذهب معكِ إلى عالم
الحقانية لأوقع عليه هناك؟!!

نعم، هذا ما أقصده تمامًا.

أسند جلال ظهره إلى المقعد وقال
متسائلًا:

ولكن كيف؟ فأنا كائن أرضي طيني،
فكيف السبيل إلى عالم موازٍ كعالمكم؟

اقتربت منه زيزفونية ومسحت على
رأسه بحنان بالغ جعل عينيه تغمضان
تلقائيًا طلبًا للمزيد من السكينة، ثم رفعت
يدها وقالت بصوت ناعم:

ستذهب معي عن طريق الدمج!

اتسعت عينا جلال بدهشة:

دمج ماذا؟!!

دمجك بجسدي يا جلال.. سأقوم
باستخدام ميزاتي ككائن من عالم
الحقانية وأدمجك بجسدي لتعبر معي،
فاختر بأي جزء من جسدي تحب أن
تُدمج؟

تبسم جلال وأجاب بصوت شجي نابع
من أعماق نقطة في روحه:
بالطبع أختار أيسر صدرك!
عضت زيزفونة شففتها السفلى خجلاً
وتابعت بهمس حان:
كما تريد يا صاحبي..

وقفت زيزفونة أمام جلال، غير أنها لم
تكن تضاهيه طولاً؛ نظراً لطوله الفارع،
وأخذت تتلو شفرتها الأثرية للعبور:

باسم مَن اسمه الحق المبين، ختم
بحبيبه الأنبياء والمرسلين، وبعونه
لقلوب عباده الصالحين نقص
للمظلومين من الظالمين..

لتجتمع ذرات الطهر وتمتزج بحبيبات
النقاء؛ فقد عاد الطفل إلى حضن أمه
بعدما عاد إليه رشده..

لتلتف بنا السكينة أينما حللنا، ولتندمج
خلقة جلال بأيسر صدر زيزفونة؛
ليطمئن قلبه، ويسكن خوفه، ويُقبل
ندمه..

قد طرقنا باب الحقانية قاصدين
الإصلاح، فليفتح لنا على مصراعيه بأمر
الإله..

باسم الندم نفتح باب الرجوع والأوبة،
ونغلق باب الظلم والحسرة!

وبعد لحظات، انحل جسد جلال في
الهواء، وأصبح قابعًا في أيسر صدر
زيزفونة!

دلفا عالم الحقائقية؛ ذلك العالم النابض
بالحياة، الساحر الجمال، المليء
بالهدوء والسكينة اللذين يبعثان على
الاسترخاء والذهول.

فتح جلال عينيه ببطء، ليجد نفسه قابعًا
في أيسر صدر زيزفونة، يشعر بنبضاتها
كأنها إيقاع كوني دافئ. وحين تطلع من
مكمنه عبر عينيها اللتين أصبحتا نافذته
على هذا الوجود الجديد، أدرك أن
الأرض ومن عليها قد تلاشت، وأن ما

يراه الآن يتجاوز كل ما خطه عقل
بشري في كتب الأساطير!

كان "بيت الإصلاح" الذي هبطت فيه
زيفونة مبنياً من مادة تشبه بلورات
الضوء السائل، لا جدران مصمتة تحجب
الرؤية، بل ستائر من الطمانينة الشفافة
تتغير ألوانها بحسب مشاعر القاطنين
فيه.

التفتت زيفونة يمنة ويسرة، وضحكت
نبرتها داخل صدرها ليرتد الصدى في
وجدان جلال:

مرحباً بك في عالم الحقانية يا جلال..
يمكنك الآن أن تنفصل عني لتسير
بجانبي، فالأثير هنا آمن.

بمجرد أن أدنت له، شعر بجسده يتكاثف
وهبط على الأرض اللطيفة كأنه غيمة
تترسب.

نظر إلى يديه، إلى حذائه، وإلى هدامه
البشري؛ كل شيء كما هو! لكنه حين
التفت إلى زيزفونة، تراجع خطوة إلى
الوراء وصاح بدهشة:

زيزفونة! ما هذا؟! أين فستانك؟ وأين...
أين ملامحك البشرية التي سحرتني؟!

ضحكت زيزفونة ضحكة مججلة ملأت
أرجاء بيت الإصلاح، ولم يكن صوتها
هذه المرة يخرج من حجرة، بل كان
ينبعث من كيانها كله كمعزوفة موسيقية.

في عالم الحقائق، لم تكن زيزفونة
بحاجة إلى تجسيد الهيكل البشري

المحدود؛ كانت عبارة عن كتل من النور
النقي المتماوج، تتداخل فيه ظلال
الزمرد والأرجوان، ولها أطراف حريرية
من الطاقة تتشكل وتتحوّل بحسب
حاجتها.

لكن العجيب والمضحك في آنٍ واحد، أن
جلال—رغم رؤيته لطبيعتها النورانية
الفائقة—كان عقله البشري يترجم هذا
النور تلقائيًا إلى صورة فتاة ترتدي
فستانًا وتصف شعرها الناري!

قالت له زيزفونة وهي تلوح بطرف من
طاقتها بدا لجلال كأنه يد بشرية ناعمة:

أرأيت؟ عقلك المسكين لا يتحمل رؤية
الحقائق عارية، لذا يقوم جهازك
العصبي بتأصيل مرئي لتستوعبني! أنت

تراني الآن فتاة مشوقة الخصر، بينما
أنا في الحقيقة مجرد ذبذبة حسابية في
قانون العدل الكوني!

خرجنا من بيت الإصلاح إلى شوارع عالم
الحقائبة، وهنا بدأت الطرائف
والمفاجآت التي جعلت جلال ينسى خوفه
تماماً وينخرط في نوبات من الضحك
والتعجب!

سار جلال بجوار زيزفونة في ممرات
مرصوفة بـ "حصى الأفكار الصافية"،
وكان كلما خطا خطوة، أصدرت الأرض
نغمة موسيقية خفيفة تناسب حالته
النفسية.

التفت إلى يمينه فرأى كائناً حقائياً
يُفترض أنه يمارس عملاً يشبه "البيع

والشراء"، لكن لم تكن هناك نقود ولا بضائع.. كان الكائن يقف أمام منصة من الأثير، ويأتي إليه كائن آخر، فيتبادلان "التحيات الصادقة"، وبمجرد أن تخرج الكلمة الطيبة من قلب أحدهما، تتجسد في الهواء على شكل فاكهة بلورية مضيئة، يأخذها الآخر ويضعها في جيبه النوراني!

شعر جلال بقرصة في معدته، فالتفت إلى زيزفونة وقال بخجل:

زيزفونة.. أنا جائع! أليس في عالمكم هذا طبق من الفول أو كباب ومحشي؟!

استلقت زيزفونة على ظهرها في الهواء—حرفيًا كانت تطفو مستلقية—

وضحكت حتى تطايرت منها شرارات
زرقاء قائلة:

يا جلال، نحن لا نملك أمعاءً ولا معدة
لتطحن اللحوم والنباتات! نحن نتغذى
على الامتنان.. أترى ذلك الحقل هناك؟

أشارت إلى مساحة شاسعة تتدفق فيها
أنهار من الضوء الأصفر البرتقالي
وتابعت:

هذا حقل "الحمد والاستبشار".. يكفي
أن تشعر بالامتنان للخالق للحظة واحدة،
حتى تمتلئ خلاياك بالطاقة لثلاثة أيام
بشرية!

حاول جلال أن يجرب الأمر؛ أغمض
عينيه وتذكر فضائل الله عليه وشعر
بامتنان حقيقي، وفي ثوانٍ شعر بشبع

عارم وكأئما التهم وليمة من مائدة
الملوك، بل وأحس بخفة في جسده
جعلته يقفز في الهواء متراً كاملاً دون
مجهود!

بينما هما يسيران، أرادت زيزفونة أن
تأخذ هذه إلى "ديوان التوثيق الكوني"
لكتابة عقد القران الأثيري. وقف جلال
ينتظر حافلة أو تراماً أو حتى عربة
تجرها الخيول، فنظرت إليه زيزفونة
بخبث وقالت:

أنتنظر مواصلات الأرض؟! هنا
المواصلات تعتمد على النوايا!

وقبل أن يستفسر، اقترب منهما كائن
حقاني يبدو لجلال في صورة رجل
عجوز ذي لحية بيضاء يرتدي جلباباً

مضيئًا، لكنه في الحقيقة كان مجرد طاقة
حكيمة.

قال العجوز مبتسمًا:

إلى أين الوجهة يا أبناء الطين والنور؟
قالت زيزفونة:

إلى ديوان التوثيق.

لم يركبوا شيئًا، بل أخذ العجوز يطلق
نكتة حقانية لطيفة، فضحك جلال
وزيزفونة من قلوبهما، ومع شدة
الضحك والاهتزاز الذبذبي، انطوت
المسافة في لحظة واحدة ليجدوا أنفسهم
واقفين أمام بوابة ديوان التوثيق!

التفت جلال مذهولًا:

كيف وصلنا بهذه السرعة؟!!

أجابته زيزفونة وهي تعدل شعرها الذي
يراه جلال ناريًا:

الضحك الصافي يقلص المسافات في
عالمنا يا جلال.. كلما كنت سعيدًا
وصادقًا، كلما وصلت إلى هدفك أسرع!
أما الكائنات النكدة—وهي غير موجودة
هنا والحمد لله—فتقطع المسافة في دهر
لأن طاقتها ثقيلة!

دخلا إلى ديوان التوثيق، وكان المبنى
أشبه بقلعة من الدموع المجمدة التي
تحولت إلى ألماس بفعل العدل
والإنصاف.

تقدم مأمور التوثيق، وكان كائنًا مهيبًا،
نظر إلى جلال بفضول كبير؛ فالبشر لا
يدخلون هنا إلا نادرًا!

قال المأمور بصوت عميق كأنه قادم من
بئر سحيق:

إذن.. إنسي يطلب دمجًا شرعيًا مؤقتًا
مع حقانية لأجل قضاء فترة القصاص؟

أجاب جلال بهيبة احترام:

نعم يا سيدي المأمور.

أخرج المأمور صفحة من النور الأبيض،

ولم يطلب قلمًا ولا حبرًا، بل قال لجلال:

انفخ في الورقة.

تعجب جلال:

أنفخ؟!

غمزت له زيزفونة:

افعل ما يقوله!

نفخ جلال في الورقة، فظهرت على
الفور بصمة أنفاسه، وبدأت الكلمات
تتشكل بالخط العربي الكوفي المشع:

لقد وافق جلال الأرضي على الامتزاج
الطاهر بزيفونة الحقانية، على أن
يكون قلبها مأواه، وعدلها هداه، طيلة
عام القصاص، بلا تملك ولا طمع.

التفت المأمور إلى زيفونة وقال:

وأنت يا زيفونة.. ما هو مهرِك من هذا
البشري؟ فنحن لا نتعامل بالجنيه
والذهب!

ابتسمت زيفونة وقالت بدلال:

مهري هو ثلاث وثلاثون فكرة نقية
وثلاث ضحكات من القلب لا تشوبها
سخرية.

نظر المأمور إلى جلال وقال:

هل تستطيع الدفع الآن؟

شعر جلال بطرافة الموقف؛ تذكر نقطة
قديمة سمعها في صغره، فضحك من
قلبه ثلاث مرات متتالية حتى رنّ صدى
ضحكاته في قاعة البلور! وفي ذات
الوقت، ركّز عقله في تذكر ثلاثة وثلاثين
موقفاً شعر فيها بالندم الصادق والرغبة
في إصلاح نفسه.

تأثرت من جلال حبيبات ذهبية صغيرة
طارت مباشرة واستقرت في جبهة
زيزفونة النورانية، فأنارت وجهها
ببريق عجيب! صفق المأمور بطاقته
وقال:

مبارك! تم العقد، وأصبحت زيزفونة حلاً
لك في الحل والترحال، وصار صدرها
بيتك الآمن طوال الرحلة!

بعد خروجهم، أخذت زيزفونة جلال في
جولة ليرى كيف يعيش سكان هذا العالم.
تعجب جلال حين رأى أنهم لا ينامون؛
فالليل والنهار هنا يتداخلان في
سيمفونية من الألوان الوردية
والبنفسجية.

سأل جلال:

ألا تتعبون؟ ألا تنامون أبداً؟

قالت زيزفونة وهي تقفز فوق غيمة:

النوم للبشر لإصلاح خلاياهم المنهكة
من مادة الأرض الثقيلة.. أما نحن،

فَعِنْدَمَا نَشْعُرُ بِبَعْضِ الْخَمُولِ، نَذْهَبُ إِلَى
حَدِيقَةِ الصَّمْتِ!

أَرْتَهُ حَدِيقَةً يَتَجَمَّعُ فِيهَا مِائَاتُ مَنْ كَانَتْ
الْحَقَائِقُ، يَجْلِسُونَ مُتَجَاوِرِينَ دُونَ أَنْ
يَنْطَقُوا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقَائِقٍ..
كَانَ الصَّمْتُ الْمَشْتَرَكُ يَجِدُّ طَاقَاتَهُمْ
بِالْكَامِلِ، فَيُخْرِجُونَ بَعْدَهَا وَهُمْ يَقْفِزُونَ
وَيَغْنُونَ!

وَمَنْ أَطْرَفَ مَا رَأَاهُ جَلالٌ، هُوَ كَيْفِيَّةُ حُلِّ
النِّزَاعَاتِ الْبَسِيطَةِ بَيْنَ الْحَقَّانِيِّينَ؛ رَأَى
كَائِنِينَ يَرْتَفِعُ صَوْتُهُمَا قَلِيلًا بِسَبَبِ
اخْتِلَافٍ عَلَى تَتَسْيِيقٍ "أَثِيرِ طَاقَةٍ
مَعِينَةٍ".. لَمْ يَأْخُذُوا بَعْضَهُمْ إِلَى الْمَحَاكِمِ،
بَلْ وَقَفُوا يَتَنَافَسُونَ فِي "إِلْقَاءِ الْأَمْنِيَّاتِ
الطَّيِّبَةِ"! كَانَ الْأَوَّلُ يَقُولُ: "أَتَمْنَى أَنْ

يفيض نورك ويزداد جمالك!"، فيرد
الثاني بسرعة: "وأنا أتمنى أن تصبح
مرشدًا لأعلى طبقات الحقانية!"، وظلوا
يتبادلون الأدعية والأمنيات الجميلة حتى
انخرطوا في العناق والضحك وانتهت
المشكلة تمامًا!

التفت جلال إلى زيزفونة وقال وعيناه
تلمعان بالدموع والبهجة:

يا زيزفونة.. ليت أهل الأرض يملكون
ذرة من عالمكم هذا! ليتنا نتعلم كيف
نعيش بالامتنان والضحك والصمت
الظاهر..

وضعت زيزفونة يدها (التي يراها
بشرية) على كتفه وقالت بحنان:

هذا هو الهدف من القصاص يا جلال..
أن تأخذ معك مسكًا من هنا، لتعطر به
طين الأرض هناك حينَ تعود!



الفصل الثامن

انتهت رحلتهم ما داخل عالم الحقائق،
فعادا إلى عالم جلال بذات الطريقة
الأثرية التي عبرا بها.

ما إن خرج جلال من صدرها حتى لاحظ
تغيرًا مفاجئًا واصفرارًا يعلو ساحتها،
وقبل أن يستفسر منها عن السبب،
دارت بها الغرفة وسقطت مغشيًا عليها!

حملها جلال بلهفة بين ذراعيه ووضعها
على فراشه، وأخذ يمسح على وجهها
ويحاول إنعاشها حتى استفاقت ببطء.

وما إن فتحت عينيها حتى ذرفت بدمعٍ
دافئ، فمسحه جلال بيدٍ حانية وسألها
بخوف:

زيزفونة! ماذا حدث لك؟!

أجابته بصوتٍ شجي خافت:

أتعلم يا جلال أن عقد القرآن الذي وقعت
عليه، هو في الأصل موافقة مني على
الانسلاخ من عالمي وكنيوني والقبول
بأن أصير بشرية أرضية؛ كي يسهل
عليك العيش معي دون معاناة طويلة فترة
القصاص؟ ولأن هذا الانسلاخ يزلزل
الروح قبل الجسد، لم أستطع التحمل
وفقدت وعيي.. أنا الآن بشرية مثلك
تمامًا يا جلال، وعليك أن تعلمني كيفية
العيش على كوكبكم العجيب هذا! ولكن..
ذلك لا يمنع إكمال القصاص الذي جئت
لأجله.

تعمق جلال بالنظرة إليها بانبهار شديد
ثم قال:

_أَتَقْصِدِينَ أَنَّكَ صَرْتَ مَرِيئَةً لِكُلِّ أَحَدٍ
الآن؟!

_أَجَلْ.

_أَفَقَدْتِ كُلَّ مِيزَاتِكَ النُّورَانِيَّةِ؟

_أَجَلْ.. وَلَكِنْ إِنْ أُرِدْتُ اسْتِعَادَتَهَا
مُسْتَقْبَلًا، فَعَلَيَّ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ قَلْبِي
الْبَشْرِيِّ وَأَسْتَبْدِلَهُ بِقَلْبٍ كَائِنٍ حَقَائِقِي مِنْ
عَالَمِنَا!

صَاحِجُ جَلَالٍ بِدَهْشَةٍ:

_مَاذَاااا؟!

ابْتَسَمَتْ زَيْزَفُونَةٌ وَقَالَتْ:

_هَذَا هُوَ الْقَانُونُ عِنْدَنَا.. نَادِرًا مَا تَرْتَبِطُ
الْحَقَائِقُ بِالْأَرْضِيِّ، وَلَكِنَّهُ يَحْدُثُ. فَإِنْ
حَدَثَ وَغَادَرَتِ الْحَقَائِقُ عَالَمَهَا إِلَى عَالَمٍ

قرينها وأرادت العودة، فعليها باستبدال
قلبها بقلب كائن حقاني من "بنك
القلوب"؛ تلك الخزينة الضخمة التي
تحفظ بعدد هائل من القلوب التي تبرع
بها السابقون لصالح عالمهم!

قال جلال بذهول عارم:

_أذهلني ما تقولينه يا زيزفونة!

نهضت زيزفونة وهي تتمسك بطرف
الفراش، ثم قالت بمرح:

_لا تضيع وقتنا في الذهول، هيا
لتطعمني فأنا جائعة!

ثم تسمرت مكانها وتوسعت عينها
وهمست بصدمة:

_جائعة؟! يا إلهي! أصبحت أشعر بما
تشعرون به يا جلال!

تعلقت برقبتة بخفة وقالت بمرح طفولي:

_أنا بشرية! أنا مثلك تمامًا يا جلال!

نظر جلال في عينيها بثبات وقال بصوت
حانٍ يفيض بالدفء:

_كم هي جميلة عيناكِ الكسيرة يا ابنة
قمر الزمان!

عضت زيزفونة شففتها خجلًا وابتعدت
عنه قائلة بدلال:

_هيا يا رجل.. أشعر بالجوع حقًا!

وقبل أن يخطو جلال خطوة واحدة،
اقتربت منه وأخرجت لسانها، فلمست
بسبابتها طرف لسانها ثم أعادت ذات

السبابة لتلمس بها طرف لسان جلال!
وبعد أن ابتلعاً ريقهما، قالت بمرح
مصري خالص:

__ يلا بقى بقولك جعانة.. جعانة يا بني
آدم!

رد جلال بذات المرح:

__ بس كده؟ من عيوني!

__ وهتأكلني إيه يا راجل؟

أمسك يدها وقال:

__ تعالي معايا المطبخ أوريك هأكلك إيه!

دلفا إلى المطبخ، وكان عامراً بالخيرات
ما بين خضار وفاكهة وجبن وسمن
وبقوليات.

أخذ جلال يعرفها على مقتنيات المطبخ
وأسمائها حتى حفظتها بذاكرتها الحديثة
الفارغة.

وقف جلال في وسط المطبخ وهو يمسك
حبة طماطم حمراء، ورفعها أمام عيني
زيزفونة الناعستين كأنه يريها قطعة
ألماس فريدة، وقال بلهجة أستاذ يلقي
محاضرة:

بصي يا ستي.. دي اسمها طماطم.
بنعصرها ونعمل منها صلصة، وممكن
تقطع في السلطة، وممنوع عضها وهي
نية كده إلا في حالات الطوارئ
القصوى!

خطفت زيزفونة الطماطم من يده
بسرعة، وتأملتها بفضول طفولي، ثم

وضعتهما على وجنتها البيضاء وقالت
بضحكة رنانة:

_الله! دي شـبيرة بيا أوووي يا جلال!
نفس اللون والنقاء، بس أنا طبعًا أحلى
شويتين!

ضحك جلال حتى بدت نواجهه وقال:

_يا بنتي ارحمي تواضعك! وبعدين
اسمها "شـبهي" مش "شـبيرة بيا"..
لغتك بتاعة عالم الحقاينة دي لازم
تمصريها شوية عشان نعرف ناكل عيش
هنا! يلا بينا نعمل طبق بيض بالسمنة
البلدي وحتة جبنة قريش، عشان تدوقي
أول أكل بشري في حياتك!

أمسك جلال ببيضة وضربها على حافة
المقلاة لتتكسر، فصرخت زيزفونة

صرخة خفيفة ووضعت يديها على فمها
مذهولة:

_يا مجرم!

التفت إليها جلال والملعة في يده، ونظر
إليها بذهول ممزوج بالكوميديا:

_في إيه يا زيزفونة؟! ده بيض مزارع
يا بنتي، يفطر بيه البني آدمين من أيام
الفراعنة! اقعدى بس على الكرسي ده
وسمي الله.

حين وُضع الطبق أمامها، شمت الرائحة
الساحرة للسمن البلدي، فأخذت شهيقاً
عميقاً وكادت تطير من الفرحة، ثم
غرزت لقمة صغيرة من الخبز البلدي
وتذوقتها.. في تلك اللحظة، اتسعت
عينها الكسيرتان بذهول لم يسبق له

مثيل، وهزت رأسها يمينًا ويسارًا وهي
تمضغ وكأنها تستمع لأغنية لأم كلثوم،
وقالت وهي تلوح بخصرها:

_يا إلهي! ما هذا السحر؟! كيف تخفون
هذا الطعم عن بقية العوالم الموازية؟
جلال.. أنا أعلن ولائي الرسمي لطبق
البيض ده من الآن فصاعدًا!
انفجر جلال ضاحكًا:

_بالهنا والشفاء يا ستي، لسه ياما
هتشوفي وتدوقي في كوكب العجائب!
ومرت الأيام متتالية، وأقدار جلال تترتب
في غياب زوجته التي امتدت زيارتها
عند أهلها في الأرياف لأسابيع طويلة،
مما أتاح لزيزفونة أن تخوض التجربة
البشرية بكامل تفاصيلها اليومية.

وبما أن عقلها الحقاني يمتص
المعلومات بسرعة الصاروخ، فقد
تحولت في ظرف أيام قليلة من كائن
نوراني مهيب، إلى "ست بيت" مصرية
محترفة تنافس أعتى ربات البيوت في
الحي!

أصبح من المعتاد جداً أن يستيقظ جلال
في الصباح ليجد زيزفونة تقف في
الشرفة، وقد لفت شعرها الناري بمنديل
قطني لحمايته من غبار الشارع، وهي
تمسك بوعاء الغسيل المليء بالملابس
البيضاء التي تفوح منها رائحة الزهراء
ومسحوق الغسيل.

كانت تنشر الغسيل برقة بالغة، وتمسك
المشابك الخشبية بأصابعها الناعمة

وتغني بصوتها العذب الشجي وهي
تتمايل مع حبال الغسيل: "يا مسهرني..
يا مسهرني"، فيلتفت الجيران في
الشرفات المجاورة مذهولين من جمال
هذه الفتاة العجيبة التي هبطت في شقة
جلال فجأة!

بينما جلال يراقبها من وراء الستار وهو
يموت من الضحك، ويهمس لنفسه:

لوحده في عالم الحقانية شافك وأنتِ
بتشيري فانيلاي، كانوا اتبروا منك
فوراً!

ولم يتوقف الأمر عند الغسيل، بل دخلت
زيزفونة معركة الطبخ بكل جوارحها؛
تعلمت كيف تقف أمام بابور الجاز
وتتفخه وهي تسعل وتضحك في آن

واحد، وصارت تتقن عمل الملوخية
بالشهقة المصرية الأصيلة!

وفي أحد الأيام، دخل جلال المطبخ
ليجدها تشهق بقوة وتكاد تقفز في
الهواء، فصاح برعب:

_ في إيه؟! في برص في المطبخ!؟

فالتفت إليه وعيناها الناعستان مليئتان
بدموع البصل الضاحكة وقالت:

_ لا يا جلال، دي شهقة الملوخية اللي
الست أم أحمد جارتنا قالت لي عليها من
الشباك! قالت لي لو مشهقتيش الملوخية
هتسقط منك!

ضرب جلال كفًا بكف وهو يكتم
ضحكاته:

_ أم أحمد؟! أنتِ بقيتي بتصاحبي
الجيران كمان؟!!

كانت الأيام بينهما مزيجًا من البهجة
الخالصة والكوميديا اليومية؛ فبينما
كانت زيزفونة تمسح الأرضيات وتكنس
السجاد وتصنع له الشاي الثقيل
"الخمسينة" بعد الغداء، كان جلال يشعر
بدفء غريب لم يعيشه من قبل..

لكن خلف هذه السعادة البسيطة، كان
كلاهما يعلم أن وقت القصاص يقترب،
وأن الأيام الوردية ليست سوى الهدوء
الذي يسبق العاصفة التصحيحية.

وفي ليلة هادئة، انقضت فيها أسابيع
الأنس، كان جلال يجلس على مقعده
الخشبي، وزيزفونة تجلس قبالة بعد أن

أنهت عمل البيت، وقد خلعت منديل
رأسها لينساب شعرها الناري المسترسل
حول وجهها البضاوي الفاتن.

كانت نظرتها الكسيرة الليلة تحمل شجناً
عميقاً يختلف تماماً عن مرح الأيام
السابقة.

تتحنح جلال وقال مبتسماً:

_مالك يا زيزفونة؟ ساكتة ليه؟ الملوخية
طلعت مسكرة والبيت يببرق.. ناقصك
حاجة؟

لم تضحك زيزفونة كعادتها، بل نظرت
إليه بثبات وقالت بصوتٍ ناعم يفيض
بالحنان والجدية:

_جلال.. لقد انتهت أيام التدريب، وجاء وقت القصاص الحقيقي الذي جئت من أجله من عالم الحقائية.

اعتدل جلال في جلسته وشعر ببرودة تسري في أطرافه:

_قصاص؟! ولكنك عشتَ معي كبشرية ولم تؤذيني في شيء، بل ملأت بيتي بالبهجة!

تابعت زيزفونة وهي تقترب منه وتنظر في عينيه:

_القصاص عندنا في الحقائية ليس تعذيباً ولا انتقاماً يا جلال.. القصاص هو إعادة التوازن للكون، وإصلاح ما أفسده الظلم والعبث.

أنت شاب أهدرت سنوات عمرك بعد
التخرج في العبث بقلوب العذارى،
وكسرت نفوسًا بريئة تمنى الحب
الصادق، وضيعت فرصًا لتكون رجلًا
حقيقيًا يعتمد عليه مجتمعه في هذه
المرحلة الانتقالية الصعبة.

بلغ جلال ريقه وقال بخوف:

وماذا ستفعلين بي إذن؟ هل ستأخذين
قلبي لبنك القلوب؟!

ابتسمت زيزفونة بمرارة وهزت رأسها
نفياً، ثم قالت بكلمات نزلت عليه
كالصاعقة:

سأطبق عليك أخطر وأصعب طريقة
للقصاص.. طريقة لم تُستخدم إلا نادراً

في تاريخ عالمنا لأن ثمنها فادح.. فادح
جداً عليّ أنا!

استفسر جلال بتلهف:

ثمنها عليكِ أنتِ؟! كيف؟!

قالت زيزفونة وعيناها تلمعان بالدموع:

_لكي أصلح مسارك، سأطوع بالتنازل
عن جزء كبير من عمري الكوني
وصهري النوراني لصالحك.. سأمنح
هذه الطاقة للزمن لكي يدور إلى الوراء!
سأعيدك بالزمن إلى الخلف، إلى اللحظة
التي تخرجت فيها من الجامعة مباشرة
وبدأت فيها رحلة البحث عن العمل.

اتسعت عينا جلال بذهول عارم وصاح:

ترجعيني بالزمن؟!

أومات برأسها وتابت بهمس حان:

نعم.. ستحصل على فرصة سنة واحدة
كاملة لتعيد عيشها من جديد! ستعود إلى
نفس الظروف الصعبة، ونفس قلة
الحيطة، ونفس الطواير، ولكن بعقل
وفهم مختلفين.

عليك خلال هذه السنة أن تصحح كل
خطيئة ارتكبتها، وأن تمتنع عن التسلية
بقلوب الفتيات.. وإن فشلت في هذه
السنة ولم تصحح أخطاءك، فسأختفي
من الوجود كأنني لم أكن!

شعر جلال بجسده يتخدر، ورأى الغرفة
بدأت تهتز من حوله، بينما بدأت
خصلات من شعر زيزفونة الناري
تتحول إلى ذرات من الضوء الأبيض

المشع، معلنةً بدء ذوبان عمرها
وجسدها البشري لتفعيل تعويذة الزمن!
مد يده يحاول الإمساك بها والدموع
تهطل من عينيه:

__زيفونة! لا تفعل هذا بنفسك!

لكن صوتها جاءه كصدى كوني قادم من
بعيد وهي تتلاشى تدريجيًا:

__لقد تم الأمر يا صاحبي.. استعد،
فالماضي يفتح ذراعيه ليختبر رجولتك
من جديد!

وفي ثوانٍ معدودة، انحل كل شيء في
الفراغ، وغرق جلال في ظلام دامس،
استعدادًا للاستيقاظ في صباح يوم قديم
من أيام عقدين قد مضيا..

تَمَّت بِحَمْدِ اللَّهِ

مریم تورکان

